قسم اللغة والأدب العربي/ السنة الثانية ليسانس نقد – لغة – أدب 2023/22

المحاضرة الحادية عشرة: أدب الرحلة

مفهوم أدب الرحلة:

يُطلق مفهوم أدب الرحلة على ذلك النوع من الفنون الأدبيّة الذي يهتمّ بالانطباعات الصادرة عن المؤلف من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الرحلات، ويترك هذا الفن من الفنون الأدبيّة لدى القارئ انطباعًا خاصا عن الآثار التي يحتوي عليها المكان الذي تتم زيارته من خلال توثيق ذلك في النصّ الأدبي بطريقة فنية لينتج أثرا فنيا نثريا أدبيا، كما يصف الكاتب في مؤلفات هذا النوع من الفنون الأدبية ما تقعُ عليه عينه من تصرفات الناس وعاداتهم وما هم عليه من سلوكيات في التعامل مع من يقابلهم، كما يأتي على ذكر الأحوال المعيشيّة والأنماط الاجتماعية والاقتصادية للبلدان التي يتم زيارتها.

وتنقسم الرحلات إلى عدة أنواع حسب دوافعها ومنها ما يلي:

الرحلة الدينية: كالرحلة إلى البقاع المقدسة بغرض الحج أو العمرة.

الرحلة العلمية: بغرض التعلم أو التعليم، وقد حث الدين الإسلامي على ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة...))[1].

الرحلة السياسية: وهي التي تقوم بها وفود القبائل قديما ومختلف الدول حديثا للتشاور والتعاون، أو حتى في حالات الحرب.

الرحلة السياحية: ويؤديها معظم الناس في العالم لغرض النزهة والراحة وتغيير أجواء النفس، عن طريق المشاهدة ومعرفة الجديد من الأماكن وطبائع الناس وعاداتهم في المعيشة والحرف والطعام...

الرحلة الاقتصادية: يقوم بها التجار أو وسطاؤهم لأجل توصيل السلع أو تحويلها إلى مناطق أخرى، أو تكون هربا من الغلاء أو لأجل العمل في بلد آخر.

[1] رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء.

الرحلة الصحية: ومنها السفر للعلاج والاستشفاء، وقد تكون من المدينة إلى الريف قصد التنعم بصفاء هوائه ونقاء جوه هربا من ضجيج المدينة وتلوثها[2].

وكان أدب الرحلات فيما مضى مرتبطًا بالرحالة المسلمين، حيث كانوا يعمدون إلى تدوين رحلاتهم سواء كان ذلك برغبتهم الشخصية، أم برغبة أصدقائهم، أو لما يطلبه الحكام من الرحالة الذي يصلون إلى أماكن بعيدة، وكانت هذه المؤلفات تُفيد في إرشاد الناس عند وصولهم إلى المدن التي كُتبت فيها مدونات الرحالة، فتكون هذه المدونات بمثابة دليل لهم، أما في العصر الحديث فقد تغيرت العديد من المفاهيم المرتبطة بهذا النوع من الفنون الأدبية، وأصبح يُطلق عليه في بعض الأحيان الأدب السياحي، وقد عملت بعض الظروف على تراجع هذا النوع من الفنون الأدبية بسبب سهولة الترحال واكتشاف المناطق وتوثيق كل ما يختص بها علميًا بأسلوب مرئي أو مكتوب أو مسموع.

خصائص أدب الرحلات:

يتميّز هذا الفن الأدبي عن غيره من الفنون الأدبيّة الأخرى بوجود من مجموعة من الخصائص، وتجلّت هذه الخصائص فيما ورد عن أدباء الرحلات من مؤلفات كتبوها عند زيارتهم لبعض البلدان، ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي:

الاعتماد على الحوار، واستخدام الأسلوب القصصيّ، والاعتماد على الوصف بشكل كبير لإيضاح تفاصيل الأماكن التي تتم زيارتها، ومزج الجدّ بالهزل وشيوع عنصر الفكاهة في النصوص الأدبية للرحلات، وتضمين الشعر وبعض آيات القرآن الكريم في نصوص الرحلات بغرض التأكيد على حقيقة ما يصفه الكاتب.

كتب أدب الرحلات:

هناك العديدُ من المؤلفات التي تناولت أدب الرحلات، حيث عمد مؤلفوها إلى ذكر صفات مجموعة من البلدان التي تمت زيارتها من قبلهم، ومن أهم كتب هذا الفن الأدبي ما يأتي:

[2] ينظر في هذه الغايات وغيرها: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، (ط2)، 2002، ص: 19-20.

عجائب البلدان: لأبي دُلَف الينبوعي (ت 385هـ)، **المُعرب عن بعض عجائب المغرب**: لأبي حامد الغرناطي (ت 565هـ)، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**: للقزويني (ت 682هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**: لابن الوردي (ت 749هـ)، **تحفة النظّار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار**: لابن بطوطة (ت 776هـ)، ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب لأدب الرحلات، والذي روى فيه كاتبه ما شاهده في بلدان القارة الإفريقية، كما بيّن في هذا الكتاب العديد من العادات في المجتمع الهندي، أما في الجزائر فمن أبرز كتابه الدكتور أبو القاسم سعد الله بمؤلفه المشهور **تجارب في الأدب والرحلة**[3]، والدكتور عمر بن قينة بكتابه: **اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة**[4].

انتهى

[3] المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982

[4] ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.